أهل الشام

ريبورتاج

رمضان السوريين في أوروبا

«بيتوتي» برعاية «Video Call»

يُعَدّ شهر رمضان بالنسبة إلى شريحة واسعة من السوريين شهراً «كرنفالياً» بطقوسه ومظاهره المجتمعية، ابتداءً من الأسواق المزدحمة، وليس انتهاءً بمائدة الإفطار الغنية. في أوروبا يبدو الأمر مختلفاً، في ظل غياب المظاهر الكرنفالية، الأمر الذي دفع إلى البحث عن بدائل تعيد إلى هذا الشهر بعضاً من تفاصيل سوريا وأيامها التي خلت

علاء حلبي

«الأسواق هنا مليئة بكل شيء. جميع الأصناف التي اعتدناها متوافرة في المتاجر، يمكنك شراء ما تحتاجه وكأنك في سوريا». بهذه الكلمات تفتتح أم أحمد، ابنة مدينة حلب، الحديث عن شهر رمضان الذي تعيشه مع عائلتها في مدينة قرب العاصمة الهولندية أمستردام. تكرر مرات عدة أن «كل شيء متوافر»، قبل أن تستدرك: «رغم ذلك نفتقد لرمضان فعلاً، ونحاول إيجاده داخل منزلنا». منذ الصباح الباكر، تبدأ أم أحمد الإعداد لمائدة الإفطار، تجهّز الوجبة الرئيسية، والمقبلات، كذلك تُعدّ شراب السوس والتمر الهندي، والفلافل، والفتة، وحتى الفول والحمّص. تقول: «لا أطبخ كميات كبيرة، ولكنني أحرص على صناعة بعض المعجنات الرمضانية، وتوضح قائلة: «يوجد محل يبيع المعروك، ولكنه لا يشبه المعروك الذي نعرفه في سوريا، لذلك أصنعه بنفسي». تؤكد أم أحمد أنّ الأمر «لا يتعلق بالطعام. هذا ما اعتدناه في شهر رمضان، مائدة متنوعة تضم جميع أفراد العائلة». وتضيف: «الغصّة لا تتعلق بالطقوس العامّة، أو الطعام المتوافر على مائدة الإفطار، بل بالعائلة التي اعتدنا أن نراها مجتمعة على المائدة. الحرب حرمتنا تلك اللمّة».

يتذكّر راغب في السويد كم كانت طقوس رمضان متشابهة بين سوريا وتركيا (الأناضول)

لمّ شمل... افتراضي

في مدينة ميونيخ الألمانية يعيش وسيم عيسى، ابن مخيم «اليرموك» الدمشقي، بعيداً عن عائلته التي ما زالت في سوريا. وعلى خلاف أم أحمد، لا يتّبع وسيم نفسه كثيراً في إعداد مائدة الإفطار، فهو يتسوق من متجر قريب من منزله، ويُعدّ مائدة سوريّة تشبه تلك التي اعتادها في بيته. يقول الشاب: «صحيح أنني أفتقد جوّ العائلة، وشوارع دمشق خلال شهر رمضان، لكن عائلتي تساعدني كثيراً على تجاوز هذا الأمر»، ويضيف: «كل يوم أجري مكالمة فيديو مع أهلي، وأشاركهم إفطاري، الأمر الذي يقرّب المسافة البعيدة بيننا».

يسكن راغب الأحمد في مدينة مالمو السويدية، مع زوجته وثلاثة من أبنائه، فيما يتوزع بقية أفراد أسرته بين سوريا وتركيا. يقول الأحمد، الذي ينحدر من ريف دمشق: «على الرغم من ساعات الصيام الطويلة (نحو 19 ساعة)، فإن درجة الحرارة المنخفضة تساعدنا كثيراً، إذ لا نشعر بالعطش». يؤكد الرجل أنّ «ثمة اختلافات كبيرة بين شكل الحياة هنا وشكل الحياة في سوريا. هنا لا نشعر بالوقت فعلاً، فما بين دروس تعلّم اللغة، وبين ساعات العمل، ينقضي اليوم». ويضيف ضاحكاً: «لدينا متسع من الوقت للنوم أيضاً، قبل موعد الإفطار الذي يفتح بالاتصالات مع أبنائي في تركيا وسوريا». قبل سفره إلى السويد، عاش راغب بعض الوقت في تركيا، الأمر الذي جعله يختبر طقوس رمضان في ثلاثة بلدان (سوريا، تركيا، والسويد). في هذا السياق يشرح: «لا تختلف الطقوس بين سوريا وتركيا كثيراً، من ناحية الأسواق المزدحمة، والأجواء العائلية، خصوصاً أنني كنت أعيش في أحد أحياء أنقرة، بجوار عدد من أقربائي». ويضيف: «كنا نتبادل السكبات (أطباق الطعام) بين المنازل، والعزائم. وكان الأتراك يحتفلون بهذا الشهر بنحو لطيف، إذ ترسُل البلدية ماء الزهر في الشوارع عصراً، ويوقظنا المسحراتي وطبلته». أما عن تجربته في السويد، فيقول: «هنا لا توجد تلك الطقوس، لا علاقات قوية مع الجيران، ولا تبادل للسكبات. طقوسنا تقتصر على مساحة منزلنا فقط، وداخله نفعل ما نشاء، هذه طبيعة السكان، وعلينا أن نحترمها».

«يوتيوب» هرباً من «دسم الأتراك»

قبل نحو عام ونصف، وصل أمجد وزوجته ياسمين إلى مدينة بروكسل البلجيكية، بعد رحلة طويلة. يواظب أمجد على دروس تعلّم اللغة، فيما شغل شهر رمضان زوجته عن تلك الدروس. تقول ياسمين: «لم أكن أتقن الطبخ كثيراً، ولكن مع الوقت بدأت أتعلم إعداد بعض الأطباق»، وتتابع: «أتواصل مع حماتي يومياً، واتعلم منها كيفية تحضير عدد من الوجبات التي يحبها أمجد، واستعين أيضاً بيوتيوب في بعض الأوقات». تنتشر في هولندا مئات المطاعم ومحال بيع المعجنات والحلويات التي يعمل فيها أو يملكها الأتراك، الأمر الذي حوّل الأطعمة والحلويات الشرقية إلى ما يشبه الحكر على الأتراك، وفق تعبير أم أحمد، التي توضح أنه «في البداية كنا نشتري بعض الحلويات والمعجنات من المحلات التركية، طعمها يشبه تلك التي نصنعها في سوريا، ولكنها دسمة بنحو لا يصدق. لذلك، قررت أن أتعلم صناعة هذه الحلويات بنفسي على الطريقة السورية». وكحال ياسمين، تستعين أم أحمد بموقع «يوتيوب» الذي يحوي عشرات القنوات الخاصة بتعليم فنون الطبخ وصناعة الحلويات الشرقية. تقول: «أتعلم الأساسيات فقط، وأطورها بنفسي. مع التكرار بدأت أتقن صناعة عدد من الأصناف. أخذت معي أمس إلى المدرسة بعض الحلويات، للمعلمة التي تعلمنا اللغة الهولندية»، تقول أم أحمد إن المعلمة «رفضت أن تأكل الحلويات فوراً لأننا صائمون، وحوّلت الدرس إلى حديث عن شهر رمضان وطقوسه، مثل هذه التصرفات اللطيفة تعوضنا كثيراً عن الشعور بالغربة هنا».

> ينقضي اليوم بين دروس تعلّم اللغة وبين ساعات العمل

عام على انتهاء «كابوس القذائف» في دمشق: «تنذكر وما تنعاد»

لمى علي

عامٌ مرّ على آخر قذيفة هاون استهدفت العاصمة دمشق. اليوم اختلف نمط حياة الدمشقيين وتغيرت همومهم، وأصبحت قصص قذائف الهاون عبارة عن «تنذكر وما تنعاد». اختفت من التداول أسئلة من قبيل: أين كنت عند سقوط تلك القذيفة؟ هل تعرف أحداً من ضحايا ذلك التفجير؟ لتحلّ محلها أسئلة من قبيل: أين وصل الدور في طابور البنزين؟ ومن يستطيع أن يؤمن لك جرة غاز؟

عادت حركة العمل في مشفى «المجتهد» إلى ما كانت عليه قبل الحرب، ولم يعد «التأهّب الدائم» لازماً، بعد أن اختفت الحالات الطارئة الناجمة عن القذائف من هناك، وقد لا نتذكر أبداً».

تسكن ابتسام نعمان، في منطقة «المزة» التي نالت نصيبها من قذائف الهاون طوال سنوات. امتنعت السيدة وأطفالها لفترة عن الخروج من المنزل، إلا للضرورات. لاحقاً، كسرت «الحصار الذاتي»، بعد أن سلمت أمرها للقضاء والقدر. تقول: «كان قلبي يقع في كل مرة أسمع فيها صوت قذيفة، وأتخيل مشاهد مؤلمة كالتي نتابعها في نشرات الأخبار. أصابت بعض القذائف عدداً ممن أعرفهم، وكان بعضها قريباً مني أحياناً». وتضيف: «الحمد لله نجونا جسدياً، لكننا حتى اليوم، نعاني نفسياً آثار تلك المرحلة. ما زلنا، أنا وطفلتي الكبرى، نصاب بالذعر عند سماع أي صوت مفاجئ، يذكرنا بتلك الأيام الصعبة».

> ذهبت رهبة الامكنة التي ارتبط اسمها بكلمة قذيفة

«قسم الإسعاف». أحمد إبراهيم «رئيس تمريض» في المشفى، عمل في قسم الإسعاف بين عامي 2011 و2018، وكان شاهداً على الفترة العصيبة؛ يقول لـ«الأخبار»: «أحياناً كنا نواجه أكثر من تفجير في اليوم نفسه، وعدداً من قذائف الهاون في مناطق قريبة وبشكل متتالٍ».

لا ينسى الصحافي فراس القاضي، تاريخ 16 أيار 2018، يوم أصيب بـ«آخر قذيفة هاون» استهدفت العاصمة. سقطت القذيفة قرب «جسر فيكتوريا»، وكان نصيب القاضي إصابة في الرأس كادت تودي بحياته. يقول القاضي: «سقطت القذيفة في منطقة شديدة الازدحام وسط المدينة. أسعف المصابون إلى مشفيي المجتهد والمواساة، فكنا نحو 14 مصاباً في المجتهد»، ويضيف: «اليوم عادت الحياة إلى طبيعتها، ذهبت رهبة الأمكنة التي ارتبط اسمها بكلمة قذيفة، كساحة الأمويين، العدوي، باب توما، جرمانا، وغيرها. اليوم نمشي في كل شوارع الشام مطمئني البال، قد نتذكر يوم سقطت قذيفة هنا أو

حل السؤال عن البنزين محل أسئلة القذائف وضحاياها (أ ف ب)

وجوه

ضياء الخرّاط: «شيخ شباب الناعم» في دمشق

«يلي الهوا رماك يا ناعم، رماك وكسّر عضامك يا ناعم، كل سنة والحبايب سالمة يا ناعم، يلي وجهك حلو يا ناعم...». يصبح ضياء الخرّاط على أقراص «الناعم» المدوّرة بعد أن «كحّلها» بدبس العنب، وباتت جاهزة لـ«القرمشة». لا يتجاوز عمر الشاب الثانية والعشرين، لكنّ عمر خبرته في صنعة «الناعم» زاد على عشرة مواسم. يمتاز «الناعم» بأنه مخصص لشهر رمضان فحسب، ويُصنع من الطحين المعجون بالماء، ثمّ يُصب في شكل أرغفة تشبه أرغفة الخبز، لكنّها أكثر هشاشة ونعومة، ليُقلى بالزيت، ويضاف إليه دبس العنب بعد أن ينضج. منذ كان طفلاً، اعتاد ضياء الجلوس في زاوية سوق «باب سريجة»، لصناعة «الناعم» وبيعه طوال شهر الصيام. «الناس حفظوا شكلي، والبعض ينسى اسمي، حتى صاروا ينادونني بشيخ شباب الناعم»، يقول الشاب لـ«الأخبار». ويضيف: «الناعم أكلة خفيفة ونظيفة، لا تحتاج إلا الطحين الأبيض، والماء، وزيت القلي، والدبس»، ثم يبتسم ويقول: «وقليلاً من المهارة والنفس الشامي». يُراوح سعر طبق الناعم عند ضياء بين الخمسمئة والألف ليرة، بحسب عدد الأرغفة فيه. «إنه حلويات البسطاء والفقراء» يقول الخرّاط، ويتابع: «لا قدرة لمعظم الناس اليوم على شراء المعمول بالفستق، أو البقلاوة بالقشطة. أما رغيف الناعم، فالجميع يستطيع شراءه والتحلّي به بعد طعام الإفطار».

«ثورة» في الحسكة: الانتصار للكرامة

تنهمك ثورة الباشا السلمان، بتحميل مولد كهربا، صغير وبعض الحاجيات من أمام أحد محال «ساحة الساعة» وسط مدينة الحسكة. عمر ثورة 33 عاماً، وهي أولّ امرأة تقود شاحنة صغيرة، لتوصيل الطلبات في المحافظة. لم تستسلم أم عهد لواقع الحرب والظروف القاسية التي جعلتها فجأة المعيل الوحيد لأولادها وأولاد أخيها، بعد أن توفي زوجها وشقيقها، وقبلهما والداها. تقول الشابة لـ«الأخبار»: «عندما تواجهك ظروف الحياة الصعبة، ستبذل كل جهدك للتغلّب عليها وقهرها. هذا أفضل بكثير من أن ترمي بنفسك على الناس». ورغم أنها لا تستطيع التحكم إلا بقدم واحدة، نتيجة إصابتها بحادث سير، لا تكتفي السيّدة بنقل الأمتعة على متن آليتها الصغيرة ضمن الحسكة، بل تقضي الكثير من وقتها على طريق الحسكة ـ دمشق (800 كيلومتر)، لنقل بضائع إلى العاصمة وبالعكس. تقول «بعد أن أصبحت معيلة لكوم من اللحم في المنزل، جميعهم من القاصرين، قررتُ بيع آلبسة على بسطة صغيرة». وتضيف «تعبت من التحميل والسير بالبضاعة مسافات طويلة، فقررت بيع بعض الممتلكات الصغيرة، واقتناء سيارة»، لتتحول تلك الآلية إلى مصدر رزق رئيس لها ولأسرتها. تبتسم ثورة عند السؤال عن تعاملها مع السيارة ومشاكلها، وتقول «المهنة جعلتني أتعلم كل ما يتعلق بعمل السيارة الميكانيكي والكهربائي. لا أجد صعوبة مطلقاً في تبديل دولاب، أو إجراء صيانة طارئة». تقرّ أم عهد بتعاطف أفراد المجتمع معها، إذ يحرص كثير منهم على اختيارها لنقل البضائع، ويقوم بالمساعدة في التحميل، وذلك رغم نظرة الاستغراب التي تقرأها في عيون معظم من يشاهدونها وهي تقود آليتها. تبدي السيدة ثقة عالية بالنفس، وتؤكد أنها تشعر بالفخر لأنها تنتصر لكرامتها، وبـ«متعة الكسب من دون الحاجة إلى أحد، لتربية أطفال أيتام».

أحوال الليرة

«المركزي» وتدهور الليرة

الفرجة (ليست) ببلاش

نسرين زريق

شهر رمضان هو شهر «الفرجة» عند الكثيرين، إذ اقترن منذ سنوات طويلة بالدراما ومسلسلاتها، وصار البعض ينتظره كي يتفرّج. ولأنّ لكل قاعدة شواذاً، هناك من احترف التفرّج في كل الشهور، ومن دون الحاجة إلى صنّاع الدراما! خذوا مثلاً مسلسل تهاوي الليرة السورية المستمر أمام «الأخضر»، واليابس! هل نصنّفه تحت اسم التراجيديا؟ أم الكوميديا السوداء؟ هذا ليس مهماً، المهم أن «المركزي» ما زال يتفرّج، رغم أن سعر الدولار كسر في الشهور الأخيرة حاجز الـ500 في السوق السوداء، واستمر بالزحف وصولاً إلى «حيطان الـ600». اليوم، يزيد سعر «الدولار الأسود» عن نظيره الرسمي بـ140 ليرة، ما يعني فقدان 25% من قيمة العملة الرسمية، ببساطة. المفارقة، أن «الدولار الأسود» ليس ممولاً للمستوردات، بل الدولار الرسمي، ومع ذلك، وعلى امتداد الحرب، ما زال «الأسود» قريبة دائمة لارتفاع أسعار السلع. علاوة على ذلك، باتت الفجوة الواسعة بين السعرين، سبباً في خسارة السوريين ربع قيمة الحوالات التي تردهم من الخارج، وتعينهم على سدّ الرمق! فالقوانين تنصّ على تسليم الحوالات بالليرة السورية، ووفق سعر الصرف الرسمي (يرسل قريبك حوالة قدرها 100 دولار، فتقبض أنت 43000 ليرة، أما قيمتها في السوق فتصل إلى نحو 57000 ليرة). أمام هذا الواقع، بات كثير من السوريين يلجأون إلى استقبال حوالاتهم بطرق أخرى، خلافاً للقانون، عبر بعض صرّافي السوق السوداء، وتجار العملات. يدفع السوريون ثمن تهاوي ليرتهم مرات كثيرة، فرواتبهم ما زالت تعيش في زمن «الدولار بخمسين»، أما مدفوعاتهم (من أثمان سلع، وبعض الضرائب، والرسوم) فتُحسب بسعر الصرف الأسود! يمكننا تفهم التمسك بسعر «الدولار الجمركي» منخفضاً هكذا، منعاً لارتفاع أسعار السلع. هذا جيد من حيث المبدأ، لكن الأسعار ما زالت ترتفع وترتفع! يؤذي إهمال سعر الصرف «سمعة الليرة» والاقتصاد عموماً، ويزيد التضخم، ويخفض القوة الشرائية لليرة محلياً وخارجياً. المشكلة أنّ البعض سيعتبر أي نجاح محتمل في إعادة «الدولار الأسود» إلى عتبة الـ500 ليرة «إنجازاً»، برغم أنّه سيظل أعلى من السعر الرسمي بـ70 ليرة، بينما الإنجازات الاقتصادية عادة تتمثل (بعد تغيير سعر الصرف) بتخفيض أسعار البضائع المحلية، لا بتخفيض أسعار الصادرات كما يحدث. هناك من يتجاهل أن الاقتصاد فعلاً متضرر بشدة، نتيجة حرب طويلة رافقها فشل اقتصادي ذي أثر طويل، وعقوبات. من الطبيعي أن يخلف كل هذا تدهوراً في سعر الصرف، يجب حله، لكنّ الأفكار الاقتصادية الحكومية، تفتقد وجود الاقتصاد فيها من الأساس! فلا منهج أو خطة موضوعة لتوجيه السياسة النقدية في البلاد، سواء للارتفاع أو الانخفاض أوالثبات. المهمة متروكة لتيار محسوب على «السوق السوداء»، التي تتحكم بها قوى العرض والطلب (وخارج البلاد أكثر من داخلها). معظم السوريين يستخدم الدولار للادخار لا للتداول، ما يخفض قدرة الشارع على التأثير في سعر الصرف. المتداولون للدولار بيعاً وشراءً، بيقون محدودين إن تحدثنا عن الكتلة النقدية العظمى، وإن تجاهلنا فكرة أن «البنك المركزي» هو أحد مالكي أكبر الكتل النقدية من العملة الصعبة. وإذا افترضنا حسن النية، وأزحنا جانباً فكرة صلة المركزي بقوى العرض والطلب، فهو حتماً يعرف من هم المضاربون الحقيقيون القلائل، لكنه لا يفعل شيئاً، باستثناء العزف على وتر «العامل النفسي». مع العلم أن تأثير هذا العامل لن يتجاوز في أفضل الأحوال هامش الـ10% صعوداً أو هبوطاً، ولو اجتمع على دعم الليرة الشعب كله.